

أو توليدها. هذه الدراسة وأمثاله قد تساهم في فهم ترتيب السور في المصحف عبر ملاحظة الإشارات النصية وتحليلها، والروابط اللغوية والموضوعات المتكررة لتقديم تفسير لهذا الترتيب، وللرسالة التي يُعطيهها في تلك الحقبَة من النزول. وتنضم هذه الدراسة إلى مصاف الدراسات الموضوعية التي اهتمت بنظم القرآن وترتيبه، وتكمن ميزتها في جمعها بين منهجيتين: غربية وإسلامية، مما قد يساعد على بناء جسور التواصل والتحاور بين الأكاديميين في العالمين الغربي والإسلامي.

7. "فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذَّكَرَى سَيَذَكِّرُ مَنْ نَحْسَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَتَمَّى الَّذِي يَصَلَّى أَلَنَارَ الْكُوَبَى
ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" (87: 9-15)
8. "وَجَاءَ بِوَمْنٍ بِجَهَنَّمَ بِوَمْنٍ يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ وَأَتَى لَهُ الذَّكَرَى" (89: 23)
9. "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ" (الشرح 94: 4)
10. "فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا" (53: 29)

فكرة التذكرة والذكر تتكرر في هذه السور، وترتبط بالقرآن والسبيل وذكر الله، فمن تذكر، فإنه شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، ومن لم يتذكر في هذه الدنيا، سوف يتذكر أعماله في الآخرة كما في سورة الفجر (الآية 23). ويبدو أن رسالة القرآن في تلك الفترة كانت تذكرة والذكر وذكرى، والرسول مأمور بالتذكير: "فَذَكِّرْ" (87: 9). نبورت تربط فكرة التذكير في تلك الفترة بدفاع الله عن مكة ضد أصحاب الفيل، وتربطها بنعم الله على قريش وأمنها ورحلتها الاقتصادية.⁷⁴ ويقول إصلاحى أن الآية 29 في سورة الإنسان هي إعلان استغناء الله وقدرته الكاملة، وأن هذا التذكير هو لهم، وهو غني عنهم.⁷⁵ وسورة الإنسان تتحدث عن التذكرة في سياق يؤكد نزول القرآن ومحبة الكافرين للعاجلة، ومعنى جملة "إن هذه تذكرة" أي هذه السورة، أو السور التي نزلت قبلاً، أو سننزل. والأمر للرسول بالذكر هو لتبنيته: "وَأَذَكَّرَ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنَ لِلَّهِ تَبْيِيلاً" (73: 8)، "وَأَذَكَّرَ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً" (76: 25-26)، وفكرة الذكر لها نظائر: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (1: 96)، "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" (87: 1)، ولا يعرف ماهية هذا الذكر المأمور به الرسول، لكنه قد يرتبط بالقرآن والصلاة، مما يوحي بأن الصلاة في تلك الفترة شائعة، وأن المسلمين كانوا يصلون اقتداء بالرسول كما يقول ابن عاشور في تفسير الآيات الأولى من سورة المزمّل.

خاتمة

هذه المقالة تناولت دراسة سورة الإنسان نظماً وموضوعاً – عبر تطبيق نظريتي التناظر والمزاوجة – في محاولة للتحقق من زمن نزولها، ومعرفة المعنى بلفظ "الإنسان" فيها، وبيّنت الدراسة أن السورة تشبه تركيب السور المكية على وجه العموم من ناحية النظم، وتطابقت نتيجة التحليل التناظري مع ما ذكره ابن عاشور وإصلاحى حول مكية السورة كاملة. وتبين أيضاً أن السورة متناظرة مع سورة القيامة المكية وموضوعها الرئيسي، ومنسجمة موضوعياً كذلك مع سورتي المدثر والمزمّل. وهذا التشابه يجعلها قريبة من القرآن المكي المبكر وما قبل فترة الجهر بالدعوة. وأظهرت المقالة أن موضوعات سورة الإنسان لا تختلف عن سور مكية عديدة، خاصة وأن بعض سور تلك الفترة تذكر لفظ "الإنسان". كما يمكن فهم السورة ومعاني آياتها وفق السياق التاريخي لبدء نزول الوحي وحتى منتصف العهد المكي تقريباً، ويمكن كذلك تقسيم موضوعات تلك الفترة إلى ما هو متعلق بالرسول ذاته، وإلى ما هو متعلق بالمُخاطَب وهو الإنسان الكافر، مما يؤكد انتماء سورة الإنسان نظماً وموضوعاً إلى العهد المكي القريب من نزول سورة القيامة، وأن المقصود بالإنسان فيها هو الكافر المنكر للبعث.

وقد هدفت المقالة من خلال هذه الدراسة إلى إيضاح دور القراءات الأدبية المختلفة في فهم معاني الآيات لتكون أكثر انسجاماً في سياقاتها في السور، ولمعرفة مدى ارتباط تلك المعاني بموضوعات القرآن الكبرى وتطورها. وبيّنت الدراسة دور المناهج الأدبية في إبراز وحدة السورة ومحورها ونظمها، وعلاقتها بالسور المجاورة لها؛ لتحديد زمن النزول، وبيان أثر ذلك في الترجيح بين المعاني

74. Neuwirth, *Scripture, Poetry and the Making of a Community*, 145-146.

75. Işlāhī, "Sūrah al-Dahr," 89.

ومن خلال الإطلاع على السور المكية في تلك الفترة، وخاصة بعد بيان الارتباط بين سور المزمّل والمدثر والقيامة والإنسان، يمكن ملاحظة أنه لا يوجد وصف مفصل للنعيم، والإشارة مختصرة للجنة وأصحاب اليمين كما في سورة المدثر، أو سورة الفجر: "إِنَّ لِلْمُنْتَقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَبِيبَ النَّعِيمِ" (34)، أو سورة البروج: "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ" (11)، وكذلك في سورة الفجر: "فَادْخُلِي فِي عِبْدِي وَأَدْخُلِي جَنَّتِي" (29-30)، وجاء في سورة التين: "إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" (6)، وفي القارعة: "فَأَمَّا مَنْ تَقَلَّتْ مُوزِنُهُ فَأُوزِنَ فِي عِشْتِهِ رَاضِيَةً" (6-7)، وباعتبار أن المُخاطَبَ غني، ومتفاخر بالمال والولد؛ ربما يسأل: وماذا سيحصل يوم القيامة إذا شكرت وقيمت بأعمال البر؟ لذا يبدو الحديث عن نعيم الأبرار بعد مدة من الإنذار والتخويف مناسباً. وربما نزول السورة قبل أو بعد سورة القيامة مباشرة فيه إجابة لتساؤلات الإنسان الكافر حول القيامة كما في بداية سورة القيامة (الآية 6)، وتساؤله عن المقابل إذا شكر وعمل صالحاً؛ وهذا يفسر وضع سورة القيامة أولاً ثم سورة الإنسان في ترتيب المصحف. وهذا التفسير يتناسب مع ما جاء في السيرة من كون الدعوة قد بدأت بسرية، وفيها محاولات لدعوة أفراد من عليّة القوم وأثرياء قريش، ويفسر تكرار الموضوعات، مثل نزول القرآن، وخلق الإنسان والإنعام عليه، والعمل الصالح كالإنفاق والإطعام والصلاة، والحديث عن اليوم الآخر وأهواله.

(ج) الهداية إلى السبيل:

1. "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ" (68: 8-7)
2. "لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَمْ أَوْ يَتَّخَرْ" (37: 74)
3. "تَمَّ السَّبِيلَ يَسْرَةً" (80: 20)
4. "فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (التكوير: 81: 26-29)
5. "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى" (30: 53)

الهداية إلى السبيل تبدو فكرة أساسية ومكررة في هذه الفترة، وقد ارتبطت بمشينة الإنسان، ويوجد مرادف لها وهو تعبير الاستقامة، وتأتي في سورة التكوير: "لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ" (81: 28)، المدثر: "لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَمْ أَوْ يَتَّخَرْ" (37: 74)، وكلها متناسبة مع "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" (76: 3). وفي سورة الليل معانٍ مشابهة: "إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى" (4). وفكرة السبيل كما يظهر مرتبطة بمنح الإنسان الأدوات في نفسه، وإرسال الرسول وتنزيل القرآن.

(د) التذكرة والذكرى والذكر وفعل الأمر "اذكر"، "فذكر":

1. "وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصُرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" (68: 51-52)
2. "وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنْ إِلَيْهِ تَبْيِينًا" (8: 73)
3. "إِنَّ هُدًى تَذَكَّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا" (19: 73)، (29: 76)
4. "كُلًّا بَلَّ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ وَمَا يَنْذُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ" (74: 53-56)
5. "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يَزْكَىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ أَمَا مَنْ أَسْتَفْتَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكَىٰ وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ بَشَعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَىٰ كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ" (80: 1-12)
6. "فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (التكوير: 26-29)

3. "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهَدَاءَ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيَّتِنَا عَنِيدًا" (74: 11-16)
4. "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (95: 4)
5. "قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ بَسْرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ كَلَّا لَمَّا بُغِضَ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ" (80: 17-24)
6. "وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنْ عَلَيْهِ الشَّعَاءُ الْآخِرَى" (53: 47-45)
7. "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَعَجَلَ مَتَهُ الرُّوحَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَانَ الْبَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى" (75: 36-40)

(ب) إطعام الطعام للمسكين واليتيم (أعمال الأبرار):

1. "إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ أَنْ آغِدُوا عَلَيْنَا حَرَ بَنِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ وَعَدُوا عَلَيْنَا حَرِدٌ قَدِيرِينَ" (68: 17-25)
2. "قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ" (74: 43-44)
3. "وَأَمَّا مَنْ بَدَلَ وَأَسْتَعْتَبَ وَكَذَبَ بِالْحَسَنَى فَيَسْتَنْسِرُهُ لِيُعْسِرَ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى فَأَنْذَرْنَاكُمْ نَارًا تَلْقَى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى" (الليل 92: 8-21)
4. "كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ أَمْالَ خِيَا جَمًّا" (89: 17-20)
5. "أَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (الضحى 93: 8-11)
6. "إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (103: 3)
7. "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ" (البروج 85: 11)
8. "إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" (95: 6)

وهذا الموضوع كان أحد الأسباب التي جعلت البعض يقول بمدنية الآيات 7-8 في سورة الإنسان، لكن فكرة إطعام الطعام متكررة في تلك الفترة، وقد جاءت في سياقات متعددة وبألفاظ مترادفة، كلها تدل على أن بدايات هذه الدعوة كانت متعلقة بالقيم وأعمال البر، وأن الرسول نفسه موصوف بالخلق العظيم: "وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (68: 4)، وتصف سورة القلم الراض لدعوة النبي بي: "مُنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ" (68: 12)، وجاءت أيضًا في سورة القلم (الآيات 23-24) قصة الذين قرروا منع المسكين من الحرث، في حين أن سورة المدثر (الآيات 43-44) تذكر فكرة إطعام الطعام مقترنة بالصلاة في سياق يذكر سبب دخول الكافرين سقر، سورة الضحى كذلك تؤكد فكرة الإطعام بطريقة أخرى عبر مخاطبة الرسول ذاته: "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (93: 8-11)، وأيضًا في سورة المدثر: "وَلَا تَمُنَّنِمْ تَسْتَكْبِرُ" (74: 6). وهذه المعاني متماسية مع أفعال الأبرار في سورة الإنسان. سورة الليل (الآيات 8-21) تتحدث أيضًا عن إعطاء المال في سياق يؤكد اليوم الآخر؛ وهو سياق شبيهه بإطعام الطعام لوجه الله المذكور في سورة الإنسان. الجدير بالملاحظة اقتران الصلاة بالإطعام في آيات المدثر (43-44)، وهذا الاقتران قد يكون إشارة إلى أن الإيمان في تلك المرحلة ارتبط بالصلاة وفعل الخيرات، وإن لم تكن الصلاة مفروضة بعد. الخيرات أو الصالحات تقتدر بالإيمان في سور، مثل البروج (الآية 11)، والعصر (الآية 3)، والتين (الآية 6)، وفي سورة الإنسان يأتي الحديث عن جزاء الأبرار وصبرهم وابتغائهم وجه الله (الآيات 8-22).

هذا من ناحية ما يتعلق بالرسول واستقباله للدعوة، أما فيما يتعلق بالمخاطب وردة فعله، فالسور تتحدث بتكرار عن عدم فعل المخاطب للبر والصالحة: "وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِمِيمٍ مِّنَّا لَلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عَلَّافٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ" (68: 8-13)، "وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ" (74: 44)، "فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى" (75: 31)، "كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ النَّبِيَّ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ الْكُرْثَاتِ أَكْلًا لَمَّا وَتُحِبُّونَ أَمْالَ حَيًّا جَمًّا" (الفجر 89: 17-20)، "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِي فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ النَّبِيَّ وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ" (الماعون 107: 1-3)، "أَلْهَلْكُمْ أَلْتَكَاثُرُ" (التكاثر 102: 1)، وكذلك تأتي العاديات لتوضح حب الإنسان للمال: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكُمْ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" (العاديات 100: 6-8). ولم يكن ذلك الإنسان بعدم الإيمان وعدم فعل الصالحات بل منع غيره: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يَهَيِّئُ عَيْدًا إِذَا صَلَّىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ" (96: 9-12). وفي هذه الفترة تأتي سور التين والفيل وقريش لتذكر قريشاً بربها ونعمه عليها. ومعظم السياقات التي يأتي فيها لفظ "الإنسان" في هذه السور، تخاطب الإنسان لتأكيد حقيقة إعادة الخلق والبعث والأخرة ونزول القرآن، أو تدعو للتذكر وللعمل الصالح:

1. "أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (96: 1-5)
2. "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلَىٰ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْحَبُ" (96: 6-8)
3. "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" (التين 95: 4-6)
4. "أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ" (النجم 53: 24-25)
5. "وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ" (53: 39-42)
6. "فَقُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يُقْضَىٰ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ" (عبس 80: 17-24)
7. "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنَنِي كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ النَّبِيَّ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ الْكُرْثَاتِ أَكْلًا لَمَّا وَتُحِبُّونَ أَمْالَ حَيًّا جَمًّا كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ نَكَاةً وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ يَنْذُرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ يَقُولُ بَلِّغْتَنِي فَدَمَّتْ لِحْيَاتِي" (89: 15-24)
8. "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ" (العصر 103: 1-2)
9. "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكُمْ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رُفُودُهُ فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ" (100: 6-11)
10. "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (75: 3-6)
11. "يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْعُ كَلَّا لَا وَرَّرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يَنْبُؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ لَبِيسٌ قَدِيمٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ" (75: 10-15)
12. "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَاقَتَهُ فُخْلَقٌ فَمَسَوَىٰ فَمَجَّلَ مِنْهُ الْأَرْوَاحِينَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَىٰ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ" (75: 36-40)

ويلاحظ أيضاً تكرر بعض الأفكار في هذه السور كما هو موضح أدناه:

(أ) موضوع خلق الإنسان:

1. "أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ" (96: 1-2)
2. "سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ" (87: 3-1)

الأولى هو تصوير حياة الكفار في الدنيا، وهي حياة بعيدة عن الإيمان والصلاة، بينما يندر أن يوجد ذكر لحياة المؤمنين في سور تلك الفترة، والتي تذكر كثيراً اليوم الآخر وأحواله.⁷² هذا البحث يحافظ على الخطوط العريضة لما جاء في التراث حول قصة نزول الوحي والأحداث المصاحبة لسورتي المزل والمدثر، ويعتمد على أن هناك فترتين: سرية وجهرية للدعوة في مكة، أي ما يقارب الأربع أو الخمس سنوات منذ بدأ الوحي، وقبل نزول الآية 94 من سورة الحجر (15). وسيتم رسم إطار عريض من خلال موضوعات سورة الإنسان نفسها لمحاولة الجمع بين تلك الأحداث ونصوص القرآن، وبالنظر في السور المذكورة وسورة الإنسان، يمكن الملاحظة أن السور وإن كانت قد تناولت موضوع اليوم الآخر والقرآن، فهناك نوعان من المخاطبين: الرسول، والإنسان الكافر وتصرفاته.

الوحي لم يكن ينزل في مكة في بادئ الأمر متواصلاً، بل كان يحدث انقطاع،⁷³ ويوجد اتفاق على أن سورة العلق لم تنزل كاملة، ونزلت فاتحتها أولاً، ثم بعد فترة نزلت بقية السورة، ثم نزلت سورة القلم، وأغلب الظن أنها نزلت منجمة متبوعة بفواتح المزل والمدثر، وهذه السور تعطي لمحة أن الرسول كان على خلق عظيم، وقد أنعم عليه بالوحي؛ فما يراه لم يكن جنوناً ولا فتنة، وكان عليه أن يصبر ويثبت:

مَا أَتَىٰ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْبُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَبْصَابِكُمُ الْمُقْتُونُ إِنْ رَّبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (القلم 68: 2-8)

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَن نَّدَرْتَهُ نِعْمَةً مِّن رَّبِّهِ لَئِنَّا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (68: 48-52)

إن الرسول في هذه السور هو المزل والمدثر الذي كان يحاول استعياب الأمر بالقراءة ونزول الوحي: "أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (العلق 96: 1)، وكان عليه أن يتقبل المهمة/الرسالة: "إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا" (المزل 73: 15). هذه السور تبدو معنية بمخاطبة الرسول وتثبيتته، ليس فقط أمام المعارضين والمكذبين؛ ولكن من ناحية عظم الأمر ونقله أيضاً: "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" (73: 5). وأمر بالتسبيح: "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ" (الأعلى 87: 1). الصلاة والسجود المذكوران يتكرر في معظم هذه السور، وتبدو الصلاة كأنها الوسيلة التي تثبته في تلك الفترة: "كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ" (96: 19). لذلك أمر أيضاً في سورة المزل بتلاوة القرآن بترتيل، وصلاة الليل والتسبيح في النهار، والتبتل.

ومع أن تلك المرحلة عُرِفَت بالدعوة السرية، وقيل إنها ركزت على دعوة الأقارب، وأمن خلالها عدد من العبيد، يأتي ذكر النادي القرشي وكباره وأمواله في هذه السور. ومع كون الدعوة سرية؛ لا يعني هذا أن مجتمع مكة لم يسمع بها وبالدين الجديد والمؤمنين به. سور مثل العلق، والقلم، والمدثر، والكافرون، وعبس، والتكوير فيها إشارات على أن الأمر قد انتشر إلى حد ما، وأن الرسول قد تعرض لمضايقات واستهزاء وتكذيب. والسور تسجل اعتراض المشركين وسؤالهم متى هذا اليوم الآخر، فيجيبه في سورة القيامة: "لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ" (75: 16)، وتدعوه السورة للصبر وعدم العجلة في قراءة القرآن؛ فالله يحفظه ويجمعه ويبينه، وينزله للرد على المشركين واعتراضاتهم، واتهامهم للرسول بالجنون، وبقول الشعر، وكون القرآن كلام البشر.

72. Robinson, *Discovering the Qur'an*, 106.

73. انظر البخاري، الصحيح، حديث رقم 3؛ حديث رقم 4953 و4954.

التذكرة، الذكرى، السبيل	إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ لِمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (19) وَاَعْرَضُوا عَنْ نَسِيحَتِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (20)	وَمَا هِيَ إِلَّا تَذْكِرَةٌ لِّلْبَشَرِ (31) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَهُ أَوْ يَتَّخِذَ (37) فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مَعْرَضِينَ... كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ تَذْكُرْهُ وَمَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ (56-58)		إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) وَتَذَكَّرَ اسْمَ رَبِّكَ فَحَرَّةٌ وَأَصِيلًا (25) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ لِمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (29)
طعام	طعامًا (13) في سياق الحديث عن عذاب المكذبين في الآخرة	وَلِمَنْ نَكَحَ نَفْسَهُ الْمَسْكِينِ (44)		الطعام (9) في سياق الحديث عن الأبرار
الصلاة والإطعام	يَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ثُمَّ الْبَيْتُ إِلَىٰ قَلِيلًا نَصَبْتَهُ أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ إِنَّ رَبِّيَ لَا يَرْفَعُ رَأْسًا سِوَاكَ عَالَمِينَ (2-6) قَامَةً حَسَنًا وَتَقْدِيمَ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ كُلِّ هَذَا يَأْتِي مَقْرُونًا فِي سُورَةِ الْمَرْمَلِ (الآية 20)	وَرَبِّكَ فَكَّرَ (3) وَلَا تَعْتَنِ شَيْئًا مِّنْكَ (6) فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُتَصَلِّينَ لَمْ يَكُنْ يُطْعَمُ الْمَسْكِينِ (43-44)	فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (13-23)	وَيُطْعَمُونَ الْمَعْتَمِرَ عَلَىٰ حَيْبَةٍ مَّسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (9) وَتَذَكَّرَ اسْمَ رَبِّكَ فَحَرَّةٌ وَأَصِيلًا وَمِنَ الْبَيْتِ فَاشْتَدَّ لَهُ وَتَنَجَّ قَلِيلًا طَوِيلًا (25-26)
وإدان، بين، أهل	فَكَتَبَتْ نَفْسُونَ إِنَّ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17)	وَيَسِينُ شُهُودًا (18)	ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (33)	وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (20)
تقيلاً، نرني، تارون، يارون	إِنَّا سَنُلْقِيكَ عَلَيْهِمْ قَوْلًا تَقِيلًا (5) وَذُرِّيَّتِي وَمَتَكَنِّيئِينَ أُولَىٰ النَّصَبَةِ وَمَهَاجِرِي قَلِيلًا (11)	ذُرِّيَّتِي وَمَنْ خَلَقْتَ حِينًا (11)	كَلَّا بَلْ لَحِيحٌ الْعَاجِلَةِ وَيَذُرُونَ الْأَجْرَةَ (20-21)	إِلَىٰ حُلَاةٍ لِّجَبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَلِيلًا (28)
نكر ووصف يوم القيامة	يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (41) فَكَتَبَتْ نَفْسُونَ إِنَّ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17)	وَكَلَّا تَكْتَبُ يَوْمَ الدِّينِ (46)	فَإِذَا تَفَرَّقَ رَبُّ الْبُصُرِ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (7-9)	وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شُرُوبُهُ مَسْطَرِبًا (7) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَمُّونَا فَمَطْرِبِرَا فَرَقْتُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ (10-11)
جنات، جنه		إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (39-40)		وَجَزَائِهِمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا (12)

جدول (2): الروابط الموضوعية والبلاغية بين السور الأربع كجموعه

الموضوع المشترك أو الألفاظ المترادفة أو المتعلقة	سورة العزل	سورة العنبر	سورة القيامة	سورة الإسنان
القرآن، القول، الآيات الليل والنهار، الصبح	يَوْمَئِذٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ فِي قُلُوبِهِمْ نُورٌ يُنِيرُهُمْ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ هُمْ فِي النَّارِ أَوِ انْفَصَلَ مَتْنُهُ قَلِيلًا أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ بِأَرْوَاهِ فَإِذَا أَتَى الْقَلْبَ أَتَى الْقَلْبَ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سِتًّا طَوِيلًا وَفِي اللَّيْلِ سِتًّا طَوِيلًا رَبِّكَ وَتَبَيَّنَ الْآيَةُ لِقَبِيلِهِ (2-8) فَلَقَرُوا مَا نَقِصَرُ مِنْ الْقُرْآنِ (20)	كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيَّتِنَا عَنِيدًا (16) قَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (42-52) كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (32-34)	لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَإِنَّ عَلَانًا جَمْعَهُ وَفُرْعَانَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ وَفُرْعَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَانًا بِنَانَهُ (16-19)	إِنَّا نَحْنُ نُحَرِّكُ الْقَلَمَ وَنَنصُرُ الْقَلَمَ فَإِذَا تَمَّ الْقَلَمُ نَحْنُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَسَبَّحَهُ لِلَّهِ طَوِيلًا (25-29)
النفس، البشر، الإسنان، العزم	وَمَا تَقْتُمُوا لِأَفْسَاكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ (20)	إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (31) ذُكْرًا لِلْبَشَرِ (36) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ (38) بِأَن يُرِيدَ كُلُّ نَفْسٍ مِّنْهُمُ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنتَهرةً (52)	وَلَا أَهْمُ بِالنَّفْسِ الْوَأَمَةِ يُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِطَانَهُ (2-3) بِأَن يُرِيدَ الْإِنْسَانُ يَتَّخِذَ أَمَانَةً (5) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمِنُ أَفَنُ الْمَعْتَدِ (10) يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يُؤْمِنُونَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (31-41) أَحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ بُرِّهَ بِشَيْءٍ (36)	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن مِّثْلًا مُّذْكَرًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (1-2)
المكذوبون والكافرون، عذاب الكافرين	المكذبين (11)، كذرت (17) إِنَّ لَدُنَّا أَكْثَالَ وَحِجَابًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (12-13)	سَأَلِيهِ سَعَىٰ وَمَا أَنزَلَ مَا سَعَىٰ (26-27) مَا سَأَلْتَهُمْ فِي سَعَىٰ (42) وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَمٌ وَالْكُفْرُورُ (31) الْمُجْرِمِينَ (41) الْمُتَّعِضِينَ (45)	لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْمَلَ بِهِ (16)	إِنَّا هَمَّيْنَاهُ السَّمِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا إِنَّمَا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (3-4) عَائِلًا أَوْ كُفُورًا (24) وَالظَّالِمِينَ (31)
أمر الرسول بالصبر	وَأصبر على ما يقولون واحتملهم همزًا جليلًا (10)	وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)		فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا يُطِعْ مِنْهُمْ بَدِينًا أَوْ كُفُورًا (24)

وإذا كانت الآية 20 من سورة المزمل قد نزلت متأخرة جداً أو في المدينة،⁶⁹ فإن آخر آية في السورة هي: "إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا" (19)، وهي تماماً الآية 29 في سورة الإنسان، وهذا التشابه يجعل سورة الإنسان تنتمي إلى العهد المكي، الذي هو قريب جداً من وقت نزول سورة القيامة، وليس بعيداً عن وقت نزول سورتي المزمل والمدثر.

والرسول مخاطب في هذه السور الأربع، وتبدأ المجموعة بمخاطبته بقيام الليل وترتيل القرآن، وتنتهي بمخاطبته بالصبر والصلاة وعدم طاعة الكافرين. والحديث عن اليوم الآخر مركزي في السور الأربع، ويأتي مصير كل فريق، والتكذيب والرفض مذكوران، ولكن هذا القرآن – أو هذه السور التي تنزل – ذكرى وتذكرة؛ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً.

الروابط الموضوعية واللغوية بين هذه السور الأربع يوضحها الجدول (2)، ويُلاحظ من قراءة هذه السور كمجموعة – على الرغم من نزولها المنجم – أن فيها تثبيتاً للنبي لأداء المهمة، وهذا يعكس سبب ترملة وتدثره؛ فالسور تُعطي ملامح تلك الفترة وخاصة التي تُشير إلى ردة فعل الرسول تجاه الوحي، وردة فعل الإنسان الكافر المخاطب به. الصبر في هذا السياق هو صبر على حمل القول الثقيل، وصبر على القيام بالمهمة، وصبر على الرفض والتكذيب. السور الأربع تعطي إشارات على وجود اعتراض منذ البداية وتكذيب. لذا يتكرر الأمر بالصبر والصلاة والسجود والذكر وترتيل القرآن، وهذه الموضوعات تشير إلى فترة مكية مبكرة، وتعكس ردة فعل الرسول حين بدأ نزول القرآن إلى وسط العهد المكي تقريباً. وهذا يقود إلى التساؤل حول علاقة سورة الإنسان وموضوعاتها بسور تلك الفترة.

ارتباط موضوعات سورة الإنسان بما قبلها نزولاً

السور التي نزلت قبل سورة القيامة وفقاً للروايتين اللتين نقلهما السيوطي – الرواية الأولى عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن في دلائل النبوة للبيهقي، والرواية الثانية عن ابن عباس في فضائل القرآن لابن الضريس – هي تسع وعشرون سورة: العلق 96، القلم 68، المزمل 73، المدثر 74، المسد 111، التكويم 81، الأعلى 87، الليل 92، الفجر، الضحى 94، الشرح 95، العصر 103، العاديات 100، الكوثر 108، التكاثر 102، الماعون 107، الكافرون 109، الفيل 105، الفلق 113، الناس 114، الإخلاص، النجم 53، عبس 80، القدر 97، الشمس 91، البروج 85، التين 95، قريش 106، القارعة 101، القيامة.⁷⁰ وسورة الإنسان في الروايتين مدنية. نولدكه رأى أن هذا الترتيب احتوى فقط على ترتيب نزول بدايات السور، وليس جميع مقاطعها، ووضع ترتيباً مغايراً.⁷¹ ولا يمكن الجزم بهذا الترتيب في الروايتين لأنهم اختلفوا في زمن نزول بعضها، مثل سورة المسد، قيل: أنها نزلت في مرحلة مكية بعد الصدع بالدعوة، وكذلك القول بنزول سورة القدر قبيل الهجرة، وسور أخرى في هذه المجموعة، قيل: أنها مدنية، مثل المعوذتين وسورة الكوثر، وهذه الأخيرة ذكر ابن عاشور أنها نزلت قرب الحديبية، وقيل أن الآيات 4-7 من سورة الماعون نزلت في المناققين ونظرة قريبة إلى تلك السور وموضوعاتها تقود إلى القول بأن هذه السور وإن نزلت منجماً أو في فترات مختلفة، فإنها كانت تتعامل مع الرسول نفسه، وبداية نزول الوحي، ومع الإنسان الكافر، وهذا وضع يتناسب مع ما جاء في السيرة من كون الدعوة قد بدأت بسرية، وفيها محاولات لدعوة أفراد من عليّة القوم، ناهيك عن المقرّبين. نيل روبنسون يذكر أن معظم ما يجيء في السور المكية

69. مع كون الآية 20 من سورة المزمل قد تكون نزلت متأخرة في المدينة كما يقول ابن عاشور، فإن السورة تشكل وحدة منسجمة تتناظر أطرافها.

70. السيوطي، *الإتقان*، ج 1، ص 26-27.

71. نولدكه، *تاريخ القرآن*، ص 54.

أ (الآيات 1-10) أمر الرسول بالقيام بالإنذار والصبر على ذلك وإذكار الكافرين بيوم عسير
 ب (الآيات 11-47) التحذير من سقر وأهوال يوم القيامة وتثبيت المؤمنين وأهل الكتاب
 أ' (الآيات 48-56) بيان عدم استجابة الكافرين للتذكرة وأنهم لا يخافون اليوم الآخر

الشكل (10): نظم سورة المدثر وفق نظرية التناظر

يُظهر الشكلان (9) و(10) أن هاتين السورتين مكونتان من ثلاثة أقسام. سورتا المزمّل والمدثر تخاطبان الرسول بالقيام: "يَأَيُّهَا الْمَرْمُلُ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا" و"يَأَيُّهَا الْمَدَّثَرُ فَمِ فَأَنْذِرْ"، اليوم الآخر حاضر بشدة في وسط السورتين، ويظهر أن نظمهما مشابه لسورتي القيامة والإنسان، وهذه الدراسة ستوضح أن هذه السور الأربع تتشارك الكثير من جذور الكلمات والموضوعات. وعلى الرغم من أن سورة المزمّل تتناظر وتتزوج مع سورة المدثر، وسورة القيامة تتناظر وتتزوج مع سورة الإنسان إلا أن ترتيبها في المجموعة يأتي على شكل الترتيب المعكوس كما في الشكل التالي:

المزمّل	مصير المكذبين (فرعون) يوم القيامة
المدثر	ذكرى للبشر وتثبيت أهل الكتاب والمؤمنين
القيامة	حفظ القرآن وجمعه وبيانه للرسول
الإنسان	مصير الأبرار يوم القيامة

الشكل (11): السور الأربع كمجموعة

ورغم القول بنزول سورة الإنسان أولاً، فقد وضعت بعد سورة القيامة، وقافية سورة القيامة في بعض الأجزاء تنتهي بحرف الراء:

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ
 وَخَسَفَ الْقَمَرُ
 وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ
 كَلَّا لَا وَزَرَ
 إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ
 يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ
 (75: 7-13)

وهذه القافية شبيهة بقافية سورة المدثر:

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ
 فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ...
 إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ
 نَذِيرًا لِلْبَشَرِ
 لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
 (74: 18-37)

في حين أن قافية سورة المزمّل شبيهة بقافية آخر الإنسان: "قليلًا"، "ترتيلًا"، "تنزيلاً"، "طويلاً".

- فالشَّمْسُ يومَ القِيَامَةِ ستكون من أهوال ذلك اليوم، والأبرار لا يرون الشمس في الجنة من النعيم الذي هم فيه.
4. كلمة "رب" متكررة في ألفاظ "ربها/ربك" و"ربنا/ربهم" في المقطع (ب) من السورتين، والمقطع (أ) في سورة الإنسان.
5. توجد ألفاظ متشابهة تربط المقطعين (ب)، مثل "تَأْصِرَةٌ" (22: 75)، "تَضْرَبَةٌ وَسُرُورًا" (11: 76).
6. ألفاظ مثل "يوم/يومًا" و"يومنذ" تتكرر في وسط السورتين مع وجود ألفاظ مترادفة في سورة القيامة: "القيامة"، "الأخرة".
7. كلمة "العاجلة" تأتي أيضًا في كلتا السورتين: "كَلَّا بَلَّ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ" (20: 75) في المقطع (ب) من سورة القيامة، وفي المقطع (أ) من سورة الإنسان: "إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا" (67: 72).

ارتباط سورتي القيامة والإنسان بسورتي المزمّل والمدثر موضوعيًا وبلاغيًا

سورتا المزمّل والمدثر قد نزلتا في مكة وفي عهد مبكر، وقد جاء في التراث أنهما الثالثة والرابعة في ترتيب النزول،⁶⁴ وإن كانتا قد نزلتا منجمتين وليس دفعة واحدة. بالنسبة إلى تيودير نولدكه (Theodor Nöldeke) (ت 1930) تكون سورة الإنسان الثانية والخمسون نزولاً ضمن العهد المكي الثاني، بينما سور المزمّل الثالثة والعشرون نزولاً، والمدثر الثانية نزولاً، والقيامة السادسة والثلاثون نزولاً تكون ضمن العهد المكي الأول،⁶⁵ وتقسّم انجيليكا نيورت (Angelika Neuwirth) تقسيم نولدكه للعهد المكي الأول إلى أربع مجموعات، وتكون سور المزمّل، والمدثر، والقيامة ضمن المجموعة الثالثة في هذا العهد.⁶⁶

إن وضع سورتي القيامة والإنسان في ترتيب المصحف العثماني بعد سورتي المزمّل والمدثر لا يبدو أنه لا صلة له بموضوع هاتين السورتين. هذه السور الأربع (المزمّل-الإنسان) تنتمي إلى المجموعة السابعة في تقسيم إصلاحي لمجموعات القرآن: من سورة الملك (67) إلى سورة الناس (114)، واعتبر إصلاحي أن موضوع المجموعة الرئيسي هو تحذير الكافرين، وأن السور 67-109 مكية، و110-114 مدنية.⁶⁷ والشكلان التاليان يوضحان نظم سورتي المزمّل والمدثر تناظريًا: نظم سورة المزمّل وفق طريقة التناظر:

أ	(الآيات 1-11) أمر الرسول بقيام الليل وقراءة القرآن والصبر وهجر ردود المكذبين
ب	(الآيات 12-19) التحذير من يوم القيامة وأهواله
أ'	(الآية 20) بيان استجابة الرسول للأمر بقيام الليل وقراءة القرآن واستجابة من معه من المؤمنين

الشكل (9): نظم سورة المزمّل وفق نظرية التناظر

نظم سورة المدثر وفق طريقة التناظر:⁶⁸

64. السيوطي، *الإتقان*، ج 1، ص 25-27.

65. Neal Robinson, *Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text*, 2nd ed. (Washington, D.C.: Georgetown University Press, 2003), 77.

66. Angelika Neuwirth, *Scripture, Poetry and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text* (Oxford: Oxford University Press, 2014), 27.

67. Robinson, *Discovering the Qur'an*, 271.

68. كويبرس وآخرون قدموا كذلك تحليلًا تناظريًا لسورة المدثر. انظر:

Michel Cuyper, Inés Jedidi, Sami Larbes, and Yaniss Warrach, "Analyse rhétorique de la sourate 74, *al-Muddaththir*," *Studia Rhetorica Biblica et Semitica* 37 (2014), available

خلق الإنسان يأتي في خاتمة سورة القيامة ليدل على حدوث القيامة وإحياء الموتى بعد الموت لليوم الآخر، أما في سورة الإنسان فيأتي في أطرافها ليؤكد حقيقة المصير، وأن كل إنسان سيواجه ما عمل في القيامة حسب ما يختار من سبيل.

المقطع المحوري (ب) في سورة القيامة يتحدث عن أحداث يوم القيامة في سياق يؤكد حفظ الله للقرآن؛ لذا أمر الرسول بعدم العجلة في تحريك لسانه بالقرآن لأن الله تكفل بجمع القرآن وبيانه، أما المقطع المحوري (ب) في سورة الإنسان فيذكر نعيم الأبرار، مؤكداً وقاية الله للأبرار من شر يوم القيامة؛ لذا يكون الله هو الفاعل في المحورين: فعل حفظ القرآن وجمعه وبيانه، وفعل وقاية الأبرار من شر يوم القيامة. الأمر بعدم العجلة بالقرآن في القيامة يوحي بأن مزيداً من البيانات قادمة حول القيامة والمعاد، وأن الله تكفل بالبيان والجمع بعد الإنزال، جملة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا" (76: 23) في طرف سورة الإنسان الأخير تتناسب مع جملة "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَآتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (75: 17-19) في محور مقطع (ب) في القيامة، وهذا التناسب بين الجملتين موضوعي وبلاغي فكلهما عن القرآن، وتتكرر ألفاظ مثل "علينا/عليك"، "إن/إنا"، "قرآنه/القرآن". والفعل "يَتَعَجَّلَ بِهِ" يعكس معنى عدم الصبر، والآية تدعو النبي إلى عدم العجلة بالقرآن للرد على تساؤلات وتحديات المشركين المخاطبين في سورة القيامة؛ لأن الله هو منزل القرآن والمتكفل بتقديم البيان، وهذا المعنى يتناسب مع الأمر بالصبر على ما سيواجهه من إعراض وتكذيب تعكسه سورة الإنسان: "فَأَسْبِرْ لَهُمْ رَبِّكَ وَلَا تَطَّعْ مَنَّهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا" (76: 24).⁶² وبالتالي فإن القراءة التناظرية بين السورتين تشرح سبب مجيء موضوع القرآن في وسط سورة القيامة وطرف سورة الإنسان، وكيف أنه لا يشكل انقطاعاً أو اختلالاً في انسجام سورة القيامة،⁶³ بل هو مرتبط برسالة القرآن عن الله واليوم الآخر والبعث والجزاء التي تؤكد السورتان.

الإنسان في السورتين هو الإنسان المنكر للبعث، ويتكرر لفظ "الإنسان" ست مرات في سورة القيامة: "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ"⁶⁴ (3)، "بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ"⁶⁵ (5)، "يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ"⁶⁶ (10)، "يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"⁶⁷ (13-14)، وكلها تصور حال الإنسان الذي لا يؤمن بالآخرة، وتذكر فجوره وكفوره وتساؤلاته عن تلك الحقيقة التي لا يريد الإيمان بها، بل وتصور حاله يوم يواجه تلك الحقيقة، ويواجه ما عمله في الدنيا، وتجعله بصيراً على نفسه وأعماله، في حين أن الآية "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَبْتَكَرَ سُدًى" (36) تؤكد ما جاء في الآيات السابقة حول حقيقة البعث، ومرد الإنسان إلى الله. وفي سورة الإنسان يتكرر لفظ "الإنسان" في بداية السورة في سياق تأكيد خلق الإنسان والإنعام عليه بالسمع والبصر والهداية إلى السبيل. وما يلي هو بعض الأمثلة على الترابط الموضوعي والبلاغي بين السورتين:

1. المقطع (أ) من سورة القيامة متناظر مع المقطع (أ) من سورة الإنسان، يوم القيامة مذكور في المقطعين، وكذلك موضوع الخلق وإعادة الخلق.
2. فكرة الوجوه تتكرر في المقطعين (ب) من السورتين: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَطَّلُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ"⁶⁸ (75: 22-25)، "إِنَّمَا نَطْمَعُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا قَمَطِرًا"⁶⁹ (76: 9-10). "وجه الله" في الدنيا كان غاية الأبرار، فجزأهم يوم القيامة برؤية وجهه.
3. تأتي كلمة "الشمس" في أحداث يوم القيامة: "وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"⁷⁰ (75: 9)، وفي نعيم أهل الجنة: "مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا"⁷¹ (76: 9)،

62. موضوع الصبر يأتي في محور المقطع (ب) من سورة الإنسان: "فَوَقَّعْنَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَّئُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا" (76: 11-12)، وبالتالي يتناسب محورا المقطعين في السورتين.

63. ذكر نولدكه أن الآيات 16-19 من سورة القيامة دخيلة، وغير مرتبطة بالآيات حولها أو بالسورة ككل. انظر: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تعديل: فريدريش شفالي، ترجمة: جورج تامر وآخرون (هيلدسهايم: دار نشر جورج المزم، 2000)، ص 93.

سورة القيامة	سورة الإنسان
1 لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ 2 وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَالِيَةِ 3 أَبْجَسُ الْإِنْسَانَ أَنْ جَمَعَ عِظَامَهُ 4 بَلَىٰ قَدِيرٌ عَلَىٰ أَنْ نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ 5 بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ 6 يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ	1 هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مُّذَكَّرًا 2 إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّتَبَّأُهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا 3 إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَأِمَّا كَفُورًا 4 إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَعْلَاقًا وَسَجِيرًا
7 فَإِذَا بَرِقَ النَّبْضُ 8 وَخَسَفَ الْقَمَرُ 9 وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ 10 يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ 11 كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ 13 يَبْنُوْا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ 14 بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ 51 وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ	5 إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا 6 عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا 7 يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا 8 وَيُطْعَمُونَ السَّعْيَاءَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ 9 مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا 9 إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا 10 إِنَّا نَخَافُ مِن رَبَّنَا يَوْمًا كَمَطَرٍ يُرَاقِبُ
16 لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِيَتَعَجَّلَ بِهِ 17 إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْءَانُهُ 18 فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ 19 ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ	11 فَوَقَّعْنَاهُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُ نَضْرَةً وَسُرُورًا 12 وَجَزَّعْنَاهُ بِمَا صَبَّرْنَا وَجَنَّةً وَحَرِيرًا
20 كَلَّا بَلْ يُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ 21 وَيَذَرُونَ الْأَجْرَةَ 22 وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ 23 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ 24 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ 25 تَطَّانُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ 26 كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْأَرْقَا 27 وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ 28 وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ 29 وَاللَّتِلْقَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ 30 إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ	13 مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْئِثِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَهْرًا 14 وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْفُوفُهَا تَتَدَلَّلًا 15 وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَابَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا 16 قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا 17 وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا 18 عَنَّا فِيهَا نَسَمَىٰ سَسْبِيلًا 19 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا 20 وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمِلْكَا كَبِيرًا 21 عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ أَسَدَسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا 22 إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا
31 فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ 32 وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ 33 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ آلِهِ يَتَمَطَّىٰ 34 أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ 35 ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ 36 أَبْجَسُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَبْتَكَ سُدَىٰ 37 أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِي يَمْنَىٰ 38 ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَخْلَقَ فَبَسُوْا 39 فَجَعَلَ مِثْلَهُ الرَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ 40 أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ	23 إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلًا 24 فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنَّهُمْ ءَأَمَّا أَوْ كَفُورًا 25 وَأَذْكَرَ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا 26 وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا 27 إِنَّ هُوَ لَأَوْلَىٰ بِجُبُورِ الْعَاجِلَةِ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَبِيلًا 28 نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَبْدِيلًا 29 إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا 30 وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا 31 نَدْخُلُ مَنْ نَّشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

جدول (1): المزوجة بين سورتي القيامة والإنسان وفق نظرية التناظر

بالنظر في الجدول (1) يمكن ملاحظة أن طول السورتين متشابه، وكلتا السورتين تنقسم إلى ثلاثة مقاطع متناظرة، ويوجد الكثير من الروابط الموضوعية البلاغية بين السورتين كما سيأتي، ومن خلال نظرية التناظر والتزاوج – كما في الشكل (8) – يمكن القول بأن سورة القيامة وضعت أولاً لنظمها، لأن منتصفها يتحدث عن الموت والقيامة والحساب والجزاء، وسورة الإنسان تتحدث عن المصير النهائي للفريقين. الإنسان يتكرر في أطراف السورتين، موضوع القرآن ومخاطبة الرسول في سورة الإنسان يأتي في الطرف الأخير وفي سورة القيامة في محور مقطعها الوسط، موضوع

التقسيم التناظري لسورة القيامة هو كالتالي:

أ	(الآيات 1-6) تأكيد حقيقة يوم القيامة وتذكير الإنسان بإعادة الخلق
ب	(الآيات 7-30) أهوال القيامة والموت وسكراته ومخاطبة الرسول بعدم العجلة بالقرآن
أ'	(الآيات 31-40) الوعيد للإنسان وتأكيد الخلق وإحياء الموتى

الشكل (6): تقسيم سورة القيامة وفق نظرية التناظر

والشكل التالي هو ترتيب آياتها تناظرياً:

<i>المقطع (أ)</i>	
1	لَا أَسْأَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ² وَلَا أَسْأَلُكُمْ بِالنَّفْسِ الْوَالْوَامَةِ ³ <i>يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ</i> أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ ⁴ <i>بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ</i> أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ⁵ <i>بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ</i> ⁶ <i>يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ</i>
<i>المقطع (ب)</i>	
7	<i>فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ</i> ⁸ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⁹ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ¹⁰ <i>يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيَّنَ الْمَقَرُ</i> ¹¹ <i>كَلَّا لَا يَزُرُّ¹² إِلَيَّ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ</i> ¹³ <i>يَنْبُؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ</i> ¹⁴ <i>بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ</i> ¹⁵ <i>وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَادِيرُهُ</i>
16	<i>لَا حَرَكَةَ لَهُ</i> لِسَانِكَ <i>لِنَعْتَلِجَ بِهِ</i> ¹⁷ <i>إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ</i> وَقَرَأَنَّهُ ¹⁸ <i>فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ</i> ¹⁹ <i>ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا نَبِإَهُ</i>
20	<i>كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ</i> ²¹ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ²² <i>وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ</i> ²³ <i>إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ</i> ²⁴ <i>وَوَجُودَ يَوْمَئِذٍ</i> <i>بَاسِرَةٌ</i> ²⁵ <i>تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ</i> ²⁶ <i>كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ</i> ²⁷ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ²⁸ <i>وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ</i> ²⁹ <i>وَالْتَقَّتْ السَّمَاءُ بِالْأَرْضِ</i> ³⁰ <i>إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ</i>
<i>المقطع (أ')</i>	
31	<i>فَلَا صَدْقَ وَلَا صَلَّىٰ</i> ³² وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ³³ <i>ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ</i> لِيَتَمَطَّىٰ ³⁴ <i>أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ</i> ³⁵ <i>ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ</i> ³⁶ <i>يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى</i> ³⁷ <i>أَلَمْ يَكُنْ لَكَ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ</i> ³⁸ <i>ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ</i> ³⁹ <i>فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ</i> ⁴⁰ <i>أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ</i>

الشكل (7): تناظر آيات سورة القيامة

الشكل (6) يبين موضوعات مقاطع سورة القيامة وتناسقها كوحدة، والشكل (7) يوضح الروابط اللغوية والبلاغية بين تلك المقاطع، ولضيق المساحة لن يتم تفصيلها. وعند القيام بالمزاوجة بين سورتي القيامة والإنسان يظهر أنهما يتبعان الشكل المعكوس في ترتيب آياتهما، كما يوضح الشكل التالي:

<i>القيامة</i>	
أ	(الآيات 1-6) تأكيد حقيقة يوم القيامة وتذكير الإنسان بإعادة الخلق
ب	(الآيات 7-30) أهوال القيامة والموت وسكراته ومخاطبة الرسول بعدم العجلة بالقرآن
أ'	(الآيات 31-40) الوعيد للكافر وتأكيد حقيقة الخلق وإحياء الموتى
<i>الإنسان</i>	
أ	(الآيات 1-4) الله خلق الإنسان وهداه السبيل لبيئته وأعد للكافرين سعيراً
ب	(الآيات 5-22) أعمال الأبرار وجزاؤهم يوم القيامة
أ'	(الآيات 23-31) الله أرسل الرسول وأنزل القرآن تذكرة وأعد للظالمين العذاب الأليم

الشكل (8): المزاوجة بين سورتي القيامة والإنسان

والجدول التالي يوضح المزاوجة بين مقاطع السورتين:

جملة "وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا تَنْذِيلًا وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا" (76: 14-15)، فكان جزاؤهم على الصبر والإطعام هو تذييل القطوف والأنية من الفضة. الطرف الأول في المقطع (ب) يحتوي على ذكر اليوم الآخر ثلاث مرات. اليوم الآخر موصوف بالشتر المستطير (7)، العبوس القمطير (10)، و"شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ" (11)، وهذه الأوصاف تربط المقطع (ب) بالمقطع (أ) الذي يصف اليوم الآخر باليوم الثقيل (27)، وكل هذه الكلمات لها دلالة الشدة والنقل والهول.⁵⁷ الأبرار يخافون يوماً عبوساً قمطيراً؛ لذا يعطون في الدنيا: "وَيُطْعَمُونَ أَلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ" (8: 76)، وفيه دلالة على صبرهم المذكور في الآية 12، في حين أن الكافرين: "إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَأَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا" (76: 27)، وفي الآية دلالة على عجلتهم ومحبتهم للدنيا ومتاعها الآني.

كلمة "أسرهم" (28) في (أ) من الجذر نفسه لكلمة "أسيراً" (9) في (ب). كلمة "رب" متكررة في الوسط والطرف الأخير، والألفاظ مثل "شمس" و"زمهير" متماشية مع "بكرة وأصيلًا" (أي أوقات النهار)،⁵⁸ وأعمال الأبرار متناسقة مع ذكر الله والصبر والصلاة والسجود والتسبيح في الليل الطويل في الطرف الأخير. الصبر يأتي في وسط المقطع (ب) كصفة من صفات الأبرار: "وَجَزَلْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا" (76: 12)، ويأتي في المقطع (أ) كتوصية للرسول لمواجهة قومه: "فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا" (76: 24). ويكرر لفظ "إن" و"إننا" في المقاطع الثلاثة كلها مما يؤكد ترابطها بلاغيًا.

تطبيق نظرية التزاوج

سورة الإنسان في ترتيب مصحف ابن مسعود هي السورة الثلاثون نزولاً، وسورة القيامة بعدها، وقد وضعهما في تأليف مصحفه كالتالي: الإنسان، ثم المرسلات، ثم القيامة.⁵⁹ وقد ربط أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (1308/708) بين السورتين، فقد جاء في سورة القيامة موضوع الخلق واستكبار الإنسان، وبيّن في سورة الإنسان الإنعام عليه، والانتقال من طور النطفة إلى الإنسان ذي السمع والبصر، ثم ابتلاؤه.⁶⁰ وربط السيوطي بين السورتين من خلال النقاط التالية:⁶¹

1. ذكرت القيامة خلق الإنسان من نطفة في خاتمها، وجاء في أول الإنسان خلق آدم.
2. جاء في القيامة خلق الذكر والأنثى، وجاء في الإنسان خلق السمع والبصر وهداية الإنسان للسبيل وردة فعله وجزائه.
3. جاء في القيامة أهوالها، وجاء في الإنسان الجنة والنار.
4. في القيامة: "كَلَّا بَلَّ تُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ" (75: 20-21)، وجاء في الإنسان: "إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَأَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا" (76: 27).

هنا سيتم إيراد نظم سورة القيامة وفق نظرية التناظر؛ ليطهر أن المزوجة ليست موضوعية فقط، ولا مرتبطة فقط بأخر السورة وأول التي تليها، بل بنظم السورتين، وكونها جزءاً من المجموعة المكونة من سورة المزمل إلى سورة الإنسان. والتحليل التناظري لسورة القيامة سيظهر أن موضوعها الرئيسي هو مخاطبة الإنسان الكافر بحقيقة القيامة والبعث.

57. المبارك، "التناسق الموضوعي في سورة القيامة والإنسان والمرسلات"، ص 157.

58. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 405.

59. انظر الهامش رقم 32.

60. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تقديم وتحقيق: سعيد بن جمعة

الفلاح (الدمام: دار ابن الجوزي، 1428هـ)، ص 198-199.

61. السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص 150-151.

بالتالي يكون اسم الإشارة "هذه" عائد على القرآن بالتناظر أو على السورة،⁵⁵ أو رسالة القرآن. التذكرة تشير إلى تذكيرهم بما نزل من القرآن سابقاً، أو بما هو واقع وحقيقي – أي البعث يوم القيامة وإعادة الخلق كما خلقوا أول مرة من نطفة – لكنهم نسوه وتعلقوا بالعاجلة. وتوصية الرسول بالصلاة والصبر وذكر الله كانت لتثبيتته للقيام بأعباء الدعوة والندارة ليستمر في تذكيرهم بخالقهم والعودة إليه يوم القيامة للمحاسبة والجزاء، فمن يشاء منهم سيتخذ إلى ربه سبيلاً ويكون شاكراً.

وسط المقطعين (أ) و(أ') يتناول الموضوع نفسه وهو الخلق: "إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" (2: 76)، وإعادة الخلق: "نَحْنُ خَالِقِيهِمْ وَنَسُدُّنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَبْدِيلًا" (28: 76)، ويقول إصلاحه بأن شد الأسر يعني خلق المفاصل والعضلات وتقويتها، وأن التبديل هو إعادة الخلق.⁵⁶ وهذا المعنى متناسب مع أول السورة عن الخلق والتدرج فيه، ومنسجم مع ذكر الجزاء واليوم الآخر في المقطع (ب). لفظ "مذكوراً" متماشٍ مع الجذر "واذكر اسم ربك" و"إن هذه تذكرة"، وهذا الجذر يربط بين الأطراف. وباختصار يظهر أن الطرف الأول يذكر الخلق والسبيل وأدوات الهداية، وأنهم فريقان شاكرو وكفور، والطرف الثاني يذكرهم بالخلق والمعاد وجزاء الظالمين، وبأن اختيار سبيل الله واتباع التذكرة هو قرارهم ومشيتهم، ومع هذا تبقى مشيتهم خاضعة له وحده، وما على الرسول إلا البلاغ.

ويظهر تناظر وسط السورة كالتالي:

المقطع (ب)	
5	إِن الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا 6 عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا 7 يُوفُونَ بِالْآثَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا 8 وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلِيٍّ حَبِيبٍ مَشْكُوبًا وَبَيْتًا وَأَسِيرًا 9 إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لُوحِيهِ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا 10 إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

11	فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا 12 وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَزَّةً وَخَرِيرًا

13	مُكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا 14 وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذَلَّلَتْ فَئُوقَهَا تَدْلِيلًا 15 وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْرَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا 16 قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا 17 وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا 18 عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا 19 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا 20 وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا 21 عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ إِسْتَبْرَقَ وَحُلُوعًا أُسُورًا مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا 22 إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا

الشكل (5): تناظر المقطع (ب)

المقطع (ب) كما في الشكل (5) يتصل بالأطراف موضوعياً وبلاغياً، في حين أن الأطراف تذكر الإنسان الكافر وخلقته والإنعام بالسمع والبصر والهداية إلى السبيل ليحذر عذاب الآخرة، يأتي الوسط ليذكر الأبرار وأعمالهم في الدنيا التي استحقوا بها النعيم، وهؤلاء الأبرار هم "شاكراً" في المقطع (أ). البر والشكر في المقطع (ب) مترادفان؛ كلمات مثل "شكوراً" و"مشكوراً" في المقطع (ب) مترادفة مع لفظ "الأبرار" وترتبط بين أجزاء المقطع. أيضاً لفظ "الأبرار" متناسب مع "عباد الله"، بالتالي يمكن القول بأن الشكر والبر والعبودية لله هي ألفاظ متماشية المعاني، وتعتبر عن صفات الإنسان الشاكر في المقطع (أ)، واتخذ إلى ربه سبيلاً كما في (أ').

ويوجد العديد من الروابط اللغوية والموضوعية بين أطراف المقطع: جملة "لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا" (9: 76) متناسبة مع "إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا" (22: 76). الآيات 5-6 متناسبة مع "وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا" (17-18)، و"وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا" (21: 76). إطعام الطعام في الدنيا من قبل الأبرار يقابله في المعنى

55. الرازي، التفسير الكبير، ج 30، ص 231؛ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 393.

56. Işlāhī, "Sūrah al-Dahr," 89.

23/ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ نَنْزِيلًا 24 فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا نَظْعُ مِنْهُمْ عَائِثًا أَوْ كُفُورًا
25 وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا 26 وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا

27 إِنَّ هُوَ لَاجِبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا
28 نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا

29 إِنَّ هُوَ تَنكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا 30 وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
31 يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

الشكل (4): تناظر المقطع (أ)

التناظر في الشكلين (3) و(4) يبين أن محوري المقطعين متعلق بالخلق والمعاد، وانقسام الناس إلى شاكر وكفور، وأن الهداية إلى السبيل ممنوحة، واختيار الهداية تابع لمشية الإنسان، لكنهم يحبون العاجلة، وجملة: "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسُلًا وَأَعْتَدْنَا لِلصَّالِحِينَ أَجْرًا" (أ) تأتي مقابل "وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" في (أ). لفظ "كفوراً" يتكرر في المقطعين، ويظهر أنه معني بالوجود للنعم، ومنها: الخلق والإمداد بالحواس والإدراك، ومنها: إرسال الرسول والتذكرة بالقرآن، فالنعم يناسبها الشكر، لا الكفر بمعنى الجحود، ويذكر إصلاحه أن جملة "إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا" وجملة "إِنَّمَا أَوْ كُفُورًا" تجعلان "شَاكِرًا" في مقابل "إِنَّمَا"، وأنها تدلان على حقوق العباد، كما أن "كُفُورًا" تدل على حقوق الله، وتجعل الحقين مرتبطين، وأن الذي يُضَيِّع حقوق العباد، فقد ضَيِّع حق الله ولا يستطيع أداءه. 53. وبالتالي يمكن القول بأن الأعمال الصالحة الواردة في المقطع (ب) هي من حقوق العباد أو حق الإنسان على أخيه الإنسان، وأنهم فعلوه لوجه الله من باب الإيمان به وارتباط الحقين، وهذا يبين معنى النذر في المقطع (ب)، فهو النذر مع الله للشكر عبر القيام بالأعمال الصالحة، وقال ابن عاشور وإصلاحه بمعنى قريب من ذلك في تفسيرهما للنذر. ويمكن الاستنتاج كذلك بأن الإسلام منذ البداية قد أتى في فترة مبكرة على البر وهو الشكر المقصود في "شَاكِرًا" في المقطع (أ)، وجعل فعل البر لوجه الله سبباً لنيل النعيم، والوقاية من شر يوم القيامة.

ويظهر أن لفظ "الإنسان" في أول السورة يُقصد به الكافر المُخاطب بدليل ذكر الكافرين في الآية 4، وألفاظ مثل "كفور" و"الكافرين" في المقطع (أ) متماشية مع "إِنَّمَا" و"كفوراً" ومحبة العاجلة والظالمين في الطرف الثاني (أ)؛ وهذا يجعل السورة في سياق السور المكبية التي تحذر مشركي مكة من إنكار البعث والوحي والنبوة؛ فتأتي الآيات للتذكير بخلق الإنسان والإنعام عليه بالسمع والبصر والهداية والقدرة على الاختيار، وتأتي أيضاً لتثبيت النبي وتسليته وأمره بالصبر وعدم الطاعة أو الاستجابة للكافرين واعتراضاتهم حول يوم القيامة ونزول القرآن كتذكرة. وفي المقطع الأخير (أ) إشارات إلى وجود حوار وجدال بين الرسول والكافر المحب للدنيا، وهو غالباً الغني صاحب المال والوجاهة، الآية: "إِنَّ هُوَ لَاجِبُونَ الْعَاجِلَةَ" (76: 27) تدل على التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة والمعاد، وهذه أوصاف تشبه أفعال مشركي مكة ونادي قريش صاحب السلطة والمال، لذا يقول إصلاحه إنهم صاغوا النهم تجاه رسول الله لرغبتهم في النعيم العاجل لا النعيم المؤخر ليوم القيامة. 54. وقد جاءت آيات عديدة في السور المكبية (مثل العلق [96]، المدثر [74]، عبس [80]) تبيين حرص الرسول على دعوة أفراد نادي قريش، وتعرضه للنهم والأذى من قبلهم.

لفظ "سبيل" يجيء في الطرفين، والآية "إِنَّا هَدَيْتَهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا" (3) في المقطع (أ) متناسبة المعنى مع "فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا" (29) في المقطع (أ). جملة "إِنَّا هَدَيْتَهُ السَّبِيلَ" متناسبة مع موضوع تنزيل القرآن في المقطع (أ)، وكون لفظ "الْقُرْآنَ" مقابل "إِنَّ هُوَ تَنكِرَةٌ"،

المقطع (أ)
 1 هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا 2 **أَنَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا 3** **أَنَا** هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا 4 **أَنَا** أَعْتَدْنَا الْكُفْرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا

المقطع (ب)
 5 **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ** مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا 6 **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا 7** يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا 8 وَيُطْعَمُونَ **الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ 9** مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا 9 **إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لِرُوحِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا 10** **أَنَا** نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا **عَبُوسًا قَمَطِيرًا 11** فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ **تِلْكَ التُّورِ** وَلَقَعَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا 12 **وَجَزَلَهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا 13** مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا 14 **وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَطْوَفُهَا تَذِيلًا 15** **وُطِئَتْ عَلَيْهِمُ بَابُهَا مِّن فَضْءٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا 16** قَوَارِيرًا **مِن فَضْءٍ قَدْرُوها تَقْدِيرًا 17** وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا 18 **عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا 19** وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ **وَلَدْنٌ مُّخَلَّدُونَ 20** إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنُونًا 20 **وَإِذَا رَأَيْتَ تَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا 21** عَلَيْهِمْ **يَتَابٌ سَنَسُ خَضِرٌ وَأَسْتَبْرَقٌ 22** وَخُلُوعٌ **أَسَاوِرٌ مِّن فَضْءٍ وَسَقَمْتُهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا 23** **هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّسْكُورًا**

23 **أَنَا** نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا 24 **فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا يُطِعْ مِنْهُمْ **عَائِمًا أَوْ كُفُورًا 25**** **وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُحْرَةً وَأَصِيلًا 26** **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا 27** **إِنَّ هُوَ لَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا تَقْدِيرًا 28** **نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا **أَشْرَمَّهُمْ**** وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَقْدِيرًا 29 **إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا 30** **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا 31** **يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**

المقطع (أ')

الشكل (2): تناظر آيات سورة الإنسان

في الشكل (2) تتشابه الأطراف (أ) و(أ') موضوعيًا؛ بحيث يُظهران أن الله الذي خلق الإنسان وذكره بأصل خلقته وما أعطاه من سمع وبصر وهداية إلى السبيل، هو الله الذي أرسل رسوله، وأنزل عليه القرآن تذكرة لتحصل الهداية، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا. أما المقطع (ب) فيبين جزاء الذين اهتدوا وهم الشاكرون، وكيف وقاهم الله شر يوم القيامة لصبرهم وعملهم الصالح. ويترتب المقطع الأول (أ) بشكل معكوس أ/ب/أ'، كالتالي:

1 هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا

2 **أَنَا** خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا
 3 **أَنَا** هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

4 **أَنَا** أَعْتَدْنَا الْكُفْرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا

الشكل (3): تناظر المقطع (أ)

وكذلك المقطع الأخير (أ') فهو مترتب بشكل معكوس أ/ب/أ'، كما يلي:

تطبيق نظرية التناظر على سورة الإنسان

تعتمد نظرية التناظر على أن القرآن في الأصل نص شفهي، ويعبر عن بلاغة عالية لها قواعدها وأسلوبها، وتتلخص فكرة التناظر في النظر إلى النص على أنه كالحلقة، يتصل أوله بآخره، أو يبدأ بموضوع ما ثم يختم بالموضوع نفسه. وقد اقترح تطبيق هذه النظرية في قراءة نظم سور القرآن العالم ميشيل كويبرس (Michel Cuypers)، وطبقها على عدد من السور المكية وسورة المائدة (5)،⁵¹ وتلقفها من بعده عدد من الباحثين الغربيين وطبقوها على سور عديدة، مثل البقرة (2)، والأنفال (8)، والتوبة (9)، والكهف (18) وغيرها.

تحليل نظم سورة الإنسان بلاغيًا، وفق قواعد نظرية التناظر،⁵² يجعل سورة الإنسان تنقسم إلى ثلاثة مقاطع، مرتبة بترتيب معكوس وفق الشكل التالي (أ ب أ):

أ	(الآيات 1-4)	الله خلق الإنسان وهداه السبيل وأعد للكافرين سعيرا
ب	(الآيات 5-22)	أعمال الأبرار وجزاؤهم يوم القيامة (الله وقاهم شر ذلك اليوم)
أ'	(الآيات 23-31)	الله أرسل الرسول وأنزل القرآن تذكرة وأعد للظالمين العذاب الأليم

الشكل (1): تقسيم سورة الإنسان وفق نظرية التناظر

والشكل التالي يوضح تناظر آيات السورة:

51. Michel Cuypers, *The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an* (Miami: Convivium, 2009); Cuypers, *The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis*, trans. Jerry Ryan (New York: Bloomsbury Academic, 2015); Cuypers, *A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Qur'an*, trans. Jerry Ryan (Atlanta: Lockwood Press, 2018).

52. وضع نيلس لوند (Nils Wilhelm Lund) (1885-1954) سبع قواعد لنظرية التناظر، ومنها - وهي القاعدة الرابعة - التي تنص على أن الأفكار التي تأتي في وسط نص ما، وتكون مُعادة في أطراف نص متناسب مع الأول، فإن هذا النص الثاني قد تركز ليتماشي مع النص الأول. وهذه القاعدة قد تم تطبيقها في هذه المقالة للمزاوجة بين سورتي القيامة والإنسان. ونصها كما يقول كويبرس:

"There are also many instances of ideas, occurring at the centre of one system and recurring in the extremes of a corresponding system, the second system evidently having been constructed to match the first"; *The Composition of the Qur'an*, 115.

وذكر إصلاحي أن زوج سورة القيامة هو سورة الإنسان، واعتمد في ذلك على التشابه الموضوعي بين نهاية سورة القيامة وبداية سورة الإنسان، فيقول بأن الآيات الأربع الأخيرة من سورة القيامة والآيات الثلاث الأولى من سورة الإنسان تتحدث عن خلق الإنسان، فعندما تبين سمعه وبصره وقدرته على التمييز بين الخير والشر، فإنه ينتقل فوراً لقدم اليوم الآخر وما فيه من نعيم لمن عرفوا نعم الله عليهم وشكروها، فهم لم يعجلوا بالشهوات في الدنيا، وصبروا من أجل الجزاء في الآخرة، وما فيه من عذاب لمن كفروا وجدوا، لذا يقول إصلاحي بأن الموضوع الرئيسي للسورتين هو نفسه؛ ولكن طبيعة السياق مختلفة وكذلك الأسلوب في النقاش مختلف.⁴⁷

ويبين إصلاحي وجهاً آخر من المزوجة من خلال الآيات في وسط سورة القيامة: "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (القيامة 75: 16-19)، وأخر سورة الإنسان حول القرآن: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا" (76: 23)، فنذكر أن الغرض من المقطعين واحد، ففي القيامة أمرٌ للرسول بعدم العجلة بالقرآن للرد على مطاعن المشركين في اليوم الآخر الذين يسألون أيا يوم القيامة، وقد جاءت أمثلة كثيرة في القرآن والحديث أنه كلما حدث تأخير في نزول الوحي، كان الرسول يريد نزوله ليواجه اعتراضات قومه، وعندما كان ينزل كان يحرك لسانه بسرعة ولهفة لنزول الوحي. ولكن القرآن يطمئنه في القيامة وفي سورة طه (20: 114-115) بحفظ القرآن، فإله منزل القرآن وقد قضى بجزء الفريقين حسب أعمالهم.⁴⁸ وجاء تأكيد تنزيل الله للقرآن في سورة الإنسان، وأن الرسول ليس كاتبه ولا مؤلفه، وأمر الرسول بعدم طاعة الأثم أو الكفور والصبر والانتظار الله.⁴⁹ وهكذا يربط إصلاحي بين المقطعين في السورتين.

وقسم إصلاحي سورة القيامة إلى خمسة أقسام: 1-6، 7-15، 16-19، 20-25، 26-40، وربط "الإنسان" الذي في سورة القيامة بـ "الإنسان" الذي في سورة الإنسان، ففي سورة القيامة يكون "الإنسان" على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، وفي سورة الإنسان أعطى الله "الإنسان" السمع والبصر وهداه السبيل ليختار.⁵⁰ وكما يظهر فالمزوجة بين السورتين عند إصلاحي هي موضوعية بالدرجة الأولى، ومن خلال هذا الارتباط الموضوعي يقول إصلاحي بمكية السورة كاملة. ورغم التفاوت بين المنهجين، فإن ابن عاشور وإصلاحي قد أكدا مكية سورة الإنسان، وارتباطها بسورة القيامة بشكل أو بآخر. واعتمد ابن عاشور لتأكيد مكية السورة على تشابه موضوعاتها مع القرآن المكي وعلى رواية ابن مسعود عن النظائر ورد الروايات الخاصة بترتيب السور وأسباب النزول، في حين أن إصلاحي يبين أن سورة الإنسان مكية كلها عبر اعتبار تزواجها مع سورة القيامة، وربط الحديث عن "الإنسان" في السورتين، ولكن التحليل التناظري سيظهر أن تزواجهما ليس موضوعياً فحسب، بل أيضاً من ناحية نظم وترتيب الآيات. وهنا يظهر أثر القراءة الموضوعية ووحدة السورة وتناسقها وانسجامها مع ما حولها في تحديد زمن النزول، وفهم علة ترتيب السور في المصحف.

47. نفسه.

48. Amin Ahsan Işlāhī, "Sūrah al-Qiyāmah (75)," *Tadabbur-i Qur'an* (<http://docvault.tadabbur-i-quran.org/tadabbur-text/volume-9/75/75%20Surah%20Qiyamah.pdf>, accessed November 1, 2018), 62-65.

49. Işlāhī, "Sūrah al-Dahr," 87-88.

50. نفسه، ص 80-81.

والمراد بالإنسان الجنس وتعريفه تعريف الجنس فيستغرق أفراد الجنس، ولكنه استغرق عرفي مراد به الناس المشتركون لأنهم الغالب على الناس المتحدث عنهم، وذلك الغالب في إطلاق لفظ الإنسان في القرآن النازل بمكة كقوله: "إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"، "أحسب الإنسان أن نجمع عظامه"، "لقد خلقنا الإنسان في كبد أحسب أن لن يقدر عليه أحد" ونحو ذلك . ويدل لذلك قوله تعالى: "يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى" الآية. وقيل: أريد إنسان معين، فقيل: عتبة بن ربيعة، أو أبو حذيفة بن المغيرة عن ابن عباس، وقيل: أمية بن خلف عن مقاتل والكلبي، وقيل: أبي بن خلف عن الكلبي أيضاً. وإنما هؤلاء المسمون أعلام التضليل. قال ابن عطية: حيث كان هذا غالباً على الكفار جاء التوبيخ في هذه الآية باسم الجنس إذ يقع (كذا) بعض المؤمنين في شيء من هذا المنزع.⁴⁴

وبهذا يمكن القول بأن لفظ "الإنسان" في فهم ابن عاشور في تلك السور عائد على الإنسان المخاطب بالعموم، وهو الكافر في ذلك الوقت، بغض النظر عن التخصيص بأسماء أفراد معينين.

سورة الإنسان من خلال تفسير "تدبر القرآن"

قسم إصلاح سورة الإنسان إلى أربعة أقسام:⁴⁵

1. الآيات 1-3: الإشارة إلى خلق الانسان، وأنه لفترة من الزمن لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم من نطفة وأمشاج خرج إنسان قادر على السمع والتمييز، ثم تم اختياره ليكون شاكراً أو كفوراً.
2. الآيات 4-22: بيان مصير الإنسان القادر على الاختيار بين الخير والشر، بدأ بذكر عاقبة الكافرين بشكل مختصر، ثم انتقل لذكر جزاء المؤمنين الشاكرين الذين عملوا الصالحات، وعلما أنهم إلى ربهم راجعون.
3. الآيات 23-28: مخاطبة الرسول للإعراض عن تكذيب الكافرين ورفضهم لدعوته، وأن يتوكل على الله الذي أنزل عليه القرآن، وأن يصبر عبر تذكر ربه والصلاة والتبذل. الكفار غير قادرين على اختيار الحياة الآخرة ونعيمها لكونهم متعلقين بالدنيا ومتاعها المباشر المتاح؛ لذلك هم يكذبون بيوم الدين رغم إنذار النبي لهم ومعرفتهم بقدم اليوم الآخر، وأن الله الذي خلقهم أول مرة قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى.
4. الآيات 29-31: تحذير الكافرين من كون النبي نذيراً لهم، وأن استجاباتهم هي خير لهم، ثم بيان أن الرسول ما هو إلا نذير وقد أدى البلاغ، وأن الهداية في القانون الإلهي تكون لمن وعى الأمر واستجاب، أما من كفر فيكون من أصحاب النار، والله عليم حكيم.

ويقول إن "في بعض المصاحف هذه السورة أعتبرت مدنية"⁴⁶ ولكنه يقول أنها ليست مدنية، وأن آياتها كلها مكية، ثم يقول بأن الموضوعات هي التي تحدد سواء كانت السورة مدنية أم مكية، وأن تحليله للسورة سيبين كيف هي مكية كلها. وفسر إصلاح "الإنسان" في الآيتين بأنه الإنسان ينتقل من طور إلى طور، وفسر إطعام الطعام على حبه بأنهم يحبون الطعام ولكنهم قدموه لغيرهم وصبروا، لأنهم كانوا هم أنفسهم فقراء، وذكر آيات مدنية لها المعنى نفسه، ولم يذكر سبب النزول الشائع، ولم يعلق عليه بعدم الصحة.

44. نفسه، ج 30، ص 326-327.

45. Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, "Sūrah al-Dahr (76)," in *Tadabbur-i Qur'ān* (<http://docvault.tadabbur-i-quran.org/tadabbur-text/volume-9/76/76%20Surah%20Dahr.pdf>, accessed November 1, 2018), 75-76.

يُرَجَى التنبيه إلى أن المترجم غير مذكور، لكن هذا الموقع مع موقع www.amin-ahsan-islahi.org مرتبطان بموقع www.al-mawrid.org تحت إشراف أحد طلاب إصلاح وهو جاويد أحمد غامدي.

46. نفسه، ص 75.

أب له، والأسير: المملوك والمسجون. " ولم أقف على سند هذا الحديث. وبهذا تعلم أن لا شاهد في هذه الآية لجعل السورة نزلت بالمدينة وفي الأسارى الذين كانوا في أسر المسلمين في غزوة بدر.³⁶

ثم يقول ابن عاشور في تفسيره للآيات 23-24: "من هنا يبتدىء ما لا خلاف في أنه مكي من هذه السورة. وعلى كلا القولين فهذا استئناف ابتدائي ويجيء على قول الجمهور أن السورة كلها مكية على الأرجح"،³⁷ ويعلق ابن عاشور على من قالوا بمدنية السورة إلا هذه الآيات بأنهم لم يذكروا من أي قرآن مكي كانت تتلى هذه الآيات حتى نزول سورة الإنسان في المدينة.³⁸ وفي معنى الأثم الكفور، ذكر ابن عاشور أنها من صفات الكفار: عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة، فالأول مشهور بكثرة إثمه وفسوقه، والثاني عُرف بكونه شديدًا في كفره وعنده، وأن الآيات نزلت لتثبيت النبي وعدم طاعتهم.³⁹ ولم يحمل ابن عاشور سبب نزول الآية 8 على أنه سبب يجعل هذه الآية مدنية، لكن ابن عاشور يرى أن هذه الأعمال المذكورة في الآية يمكن مطابقتها مع معاني آيات أخرى، إذا حملنا لفظ "أسير" على معنى "عبد".⁴⁰ وأغراض هذه السورة كما ذكرها ابن عاشور هي ما يلي:⁴¹

التذكير بأن كل إنسان كون بعد أن لم يكن فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه. وإثبات أن الإنسان محقوق بإفراد الله بالعبادة شكرًا لخالقه، ومحذر من الإشراك به. وإثبات الجزاء على الحاليين مع شيء من وصف ذلك الجزاء بحالتيه والإطناب في وصف جزاء الشاكرين. وأدمج في خلال ذلك الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك والامتنان بما أعطيه الإنسان من التمييز بين الخير والشر وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل فمن الناس من شكر نعمة الله ومنهم من كفرها فعبد غيره. وتثبيت النبي - صلى الله عليه وسلم - على القيام بأعباء الرسالة والصبر على ما يلحقه في ذلك، والتحذير من أن يلين للكافرين، والإشارة إلى أن الاصطفاء للرسالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها بالاضطلاع بما اصطفاه له وبالإقبال على عبادته. والأمر بالإقبال على ذكر الله والصلاة في أوقات من النهار.

وبالنظر في هذه الأغراض يظهر ارتباطها الشديد بالقرآن المكي وموضوعاته الرئيسية، ويمكن ملاحظة أن ابن عاشور قد ذكر هذه الأغراض كما هو ترتيبها في السورة، ويذكر ابن عاشور أن "الإنسان" المقصود في الآيتين الأولىين هو جنس الإنسان.⁴² ويذكر في تفسيره لسورة البلد (90) الآية 5: "لا يليق إلا بأحوال غير المؤمنين، فالعموم عموم عرفي، أي الإنسان في عرف الناس يومئذ، ولم يكن المسلمون إلا نفرًا قليلًا، ولذلك كثر في القرآن إطلاق الإنسان مرادًا به الكافرون من الناس. ويجوز أن يراد به إنسان معين، فالتعريف تعريف للعهد ..."⁴³ وقال ابن عاشور عن الآيات: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ" (الفجر: 89: 15-16):

انظر: ديوان سحيم عبد بنى الحساس، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز الميمني (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1950/1369)، ص 52.

36. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 385.
37. نفسه، ج 29، ص 402.
38. نفسه، ج 29، ص 370.
39. نفسه، ج 29، ص 402-404.
40. نفسه، ج 29، ص 370.
41. نفسه، ج 29، ص 371.
42. نفسه، ج 29، ص 373.
43. نفسه، ج 30، ص 350.

موضوع ونظم سورة الإنسان من خلال "التحرير والتنوير" و"تدبر القرآن"

هذا المبحث سبب في لماذا رجّح ابن عاشور وإصلاحي كون سورة الإنسان مكية كلها، وأن الإنسان المعني فيها هو الإنسان عموماً، وهو المُخاطب تلك الفترة، وكيف أكدا مكية سورة الإنسان، وارتباطها بسورة القيامة بشكل أو بآخر. ويظهر أن ابن عاشور اعتمد على رد أسباب النزول، وعلى اعتبار رواية ابن مسعود وترتيب مصحفه لإثبات مكيته، في حين أن إصلاحي بيّن كيف أن سورة الإنسان مكية كلها عبر اعتبار نظمها تراوجها مع سورة القيامة.

سورة الإنسان من خلال تفسير التحرير والتنوير

ترتيب سورة الإنسان بالنسبة للقول بأنها مكية – وهو الذي عبر عنه ابن عاشور بقوله "فإذا كان الأصح" – هو ترتيب ابن مسعود وهو الثلاثون أو الحادي والثلاثون كما يقول ابن عاشور عند تفسيره لسورة الإنسان.³² وقد ذكر ابن عاشور أن سورة القيامة معدودة الحادية والثلاثين، ونزل قبلها سورة الهمزة (104) وبعدها سورة القارعة (101).³³ ويوضح ابن عاشور أسباب الذين اختلفوا في ترتيب نزولها، مؤكداً مكية السورة مع عدم اعتباره ما ورد من أسباب النزول، يقول:

والأصح أنها مكية فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية ولا أحسب الباعث على عدّها في المدني إلا ما روي من أن آية "يطعمون الطعام على حبه" نزلت في إطعام علي بن أبي طالب بالمدينة مسكينا ليلة، ويتيما أخرى، وأسيرا أخرى، ولم يكن للمسلمين أسرى بمكة حملاً للفظ أسير على معنى أسير الحرب، أو ما روي أنه نزل في أبي الدرداج وهو أنصاري، وكثيراً ما حملوا نزول الآية على مثل تنطبق عليها معانيها فعبروا عنها بأسباب نزول كما بيناه في المقدمة الخامسة.³⁴

وبعد تأكيده على مكية السورة، يفسر ابن عاشور معنى الأسير في الآية 8 بأنه يُقصد به العبيد المسلمون في مكة، فيقول:

وأما الأسير فإذ قد كانت السورة كلها مكية قيل عزة المسلمين، فالمراد بالأسير العبد من المسلمين إذ كان المشركون قد أجاعوا عبيدهم الذين أسلموا مثل بلال وعمار وأمه وربما سبوا بعضهم إذا أضجرهم تعذيبهم وتركوهم بلا نفقة. والعبودية تنشأ من الأسر فالعبد أسير ولذلك يقال له العاني أيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم "فكوا العاني"، وقال عن النساء "إنهن عوان عندكم" على طريقة التشبيه، وقال سحيم عبد بني الحساس:

رأت قنبراً رثاً وسحق عمامة وأسود هما ينكر الناس عانياً³⁵

يريد عبداً. وذكر القرطبي عن الثعلبي: قال أبو سعيد الخدري قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا" فقال: "المسكين الفقير، واليتيم: الذي لا

32. يقول ابن عاشور: "فإذا كان الأصح أنها مكية أخذنا بترتيب مصحف ابن مسعود فتكون الثلاثين أو الحادية والثلاثين وجديرة بأن تعد قبل سورة القيامة أو نحو ذلك حسبما ورد في ترتيب ابن مسعود." انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 370.

33. نفسه، ج 29، ص 336.

34. نفسه، ج 29، ص 370.

35. جاء في ديوان سحيم: "رأت قنبراً رثاً وسحق عباءة وأسود مما يملك الناس عارياً"، كما توجد روايات مختلفة لهذا البيت من الشعر، ومنها ما نقله ابن عاشور. وفي الهامش رقم (49) في الديوان يقول أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحمول (ت 873/259) أن لفظ "عانياً" يعني "الأسير"، وأن المقصود به "العبد".

4. بعضها مكي: مدنية ما عدا "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا" (76: 23) إلى آخر السورة.¹⁹ وذكر ابن عاشور أن الحسن وعكرمة والكلبي ذكروا أنها مدنية إلا "وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ إِيْمًا أَوْ كُفُورًا" (76: 24) إلى آخر السورة.²⁰

ويظهر مما سبق أن هناك قولين لابن عباس؛ مرة أنها مدنية، ومرتين أنها مكية، بالإضافة إلى أن هناك اختلافاً حول الآية 23، فقيل مرة إنها مكية، وقيل أخرى إنها مدنية، ويبدو أن سبب التباين هو روايات ترتيب نزول السور من جهة، وطبيعة معاني السورة وكونها تحتوي على أساليب القرآن المكي من جهة أخرى، مضافاً إلى ذلك جهة ثالثة وهي أن موضوع إطعام الطعام للمسكين واليتيم والأسير شبيه بموضوعات العهد المدني. ومعظم الترجمات أعلاه لم تستند على النص نفسه كأداة للترجيح،²¹ أو لفهم المعاني، ولم تعتمد كذلك على ترتيب السورة في المصحف. وقد يرجع هذا الاختلاف في تحديد زمن النزول إلى الاختلاف حول المقصود بالإنسان فيها. وقد ورد لفظ "الإنسان" مرتين في السورة (الآيات 1-2)، وقيل معنى الإنسان في الآية: "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا"²² (1: 76) هو:

1. آدم: ذكره قتادة، وسفيان الثوري (ت 777/161)، وعكرمة، وأبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت 744/127).²² وقاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 923/310)،²³ والقرطبي،²⁴ والسيوطي.²⁵
2. بنو آدم أي جنس الإنسان: الزمخشري،²⁶ والرازي،²⁷ وأبو حيان،²⁸ وابن عاشور.²⁹

وبسبب القول الأول بأنه آدم، اختلفوا في تفسير جملة "حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا"، وذكرها العديد من الروايات، وقال الرازي بأن الإنسان في الآية الثانية هو نفسه في الآية الأولى، وعلق بأن هذا أنسب من ناحية النظم.³⁰ وعلى هذا الرأي فتكون جملة "حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ" تعني مدة الحمل، وذكره القرطبي.³¹ والقول الثاني بأن المقصود هم بنو آدم يرجح التناظر، ويتناسب مع ذكر موضوع خلق الإنسان المتكرر في السور المكية المبكرة كما سيأتي، ويبدو أن خلق آدم أشير له لاحقاً في السور الأطول.

19. نفسه.
20. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 370.
21. ذهب المبارك في دراسته الحديثة حول تناسق سورة الإنسان مع القول بمدنية السورة بسبب اشتهاها هذا القول بين الجمهور وبسبب المرويات الواردة في ترتيب السور والمكي والمدني، وبسبب أن من قال بمكيته لم يبين السبب كما يقول الكاتب. انظر: المبارك، "التناسق الموضوعي في سورة القيامة والإنسان والمرسلات"، ص 133-135.
22. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 77.
23. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان لتأويل أي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني (7 مجلدات؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994/1415)، ج 7، ص 418.
24. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 77-78.
25. جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسق السور، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الثانية (بيروت: عالم الكتب، 1987/1408)، ص 150-151.
26. الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 1311.
27. الرازي، التفسير الكبير، ج 30، ص 208.
28. أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 385-386.
29. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 373.
30. الرازي، التفسير الكبير، ج 30، ص 208.
31. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 78.

1. **مكية:** عند الجمهور،⁶ ونُقل عن عبد الله بن عباس (ت 687/68)، ومحمد بن السائب الكلبي (ت 763/146)، ومقاتل بن سليمان (ت 767/150) أنها مكية.⁷ وجاء في رواية عن ابن عباس أن سورة المدثر إلى آخر القرآن مكي ما عدا الزلزلة (99) والنصر (110) والإخلاص (112) والمعوذتين (113-114).⁸ وذكر ابن عثور أن ابن عباس وعلي بن أبي طلحة (ت 760/143) وقتادة بن دعامة (ت 637/811) ومقاتل وابن مسعود عدوها مكية.⁹ ورجح فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 1209/606) أنها مكية.¹⁰
2. **مدنية:** عدّها مجاهد (ت 722/104) وقتادة من القرآن المدني،¹¹ ونقل جلال الدين السيوطي (ت 1505/911) رواية أحمد البيهقي (ت 1066/458) عن عكرمة بن عبد الله البربري (ت 723/105) والحسن بن أبي الحسن البصري (ت 728/110) أنها مدنية، وكذلك رواية محمد بن الضريس (ت 906/815) عن ابن عباس حيث ذكرها في السور التي نزلت في المدينة،¹² وذكر شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي (ت 1214/671) أن جمهور العلماء عدّوها من القرآن المدني.¹³ واعتبرها القرطبي مدنية ونزلت بعد سورة الرحمن.¹⁴ وعدّها أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 1143/538) وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 1344/745) مدنية كذلك.¹⁵ وعلى هذا القول يكون ترتيب نزولها الثامن والتسعون بعد سورة الرحمن (55) وقيل سورة الطلاق (65) كما في رواية ابن الضريس أو التاسع والتسعون وفق رواية أبي عمرو الداني (ت 1053/444) عن جابر بن زيد (ت 712/93).¹⁶
3. **بعضها مدني:** ذكر السيوطي أنه قيل إنها مكية ما عدا "وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ أَمْثًا أَوْ كُفُورًا" (الإنسان 76: 24)،¹⁷ وقيل إنها نزلت في علي بن أبي طالب (ت 661/40) وزوجته فاطمة بنت محمد (ت 632/1)، ولم يرجح القرطبي هذا السبب، واعتبر الخطاب في السورة على وجه العموم.¹⁸

6. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، *تفسير البحر المحيط*، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بمشاركة: زكريا النوتي وأحمد الجمل، الطبعة الثانية (8 مجلدات؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 2008/1428)، ج 8، ص 385.
7. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* (20 جزء؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1993/1413)، ج 19، ص 77.
8. جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (4 أجزاء؛ بيروت: المكتبة العصرية، 2003/1424)، ج 1، ص 28.
9. ابن عثور، *التحرير والتنوير*، ج 29، ص 370.
10. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الثانية (32 جزء؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 2004/1425)، ج 30، ص 208.
11. أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، ج 8، ص 385.
12. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ج 1، ص 25-27، 34.
13. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج 19، ص 77.
14. نقل القرطبي أنها نزلت وعند رسول الله رجل أسود يسأله، وعمر بن الخطاب يقول له أن لا يتقل على الرسول، فلما قرأ رسول الله وصف الجنة فاضت روح الرجل إلى السماء، فقال النبي إنه مات شوقاً لها. انظر: القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج 19، ص 77.
15. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تصحيح: عبد الرزاق المهدي (مجلدان؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2003/1424)، ج 2، ص 1311؛ أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، ج 8، ص 383.
16. المبارك، "التناسق الموضوعي في سورة القيامة والإنسان والمرسلات"، ص 130.
17. السيوطي، *الإتقان*، ج 1، ص 34، 46.
18. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج 19، ص 77.

ابن مسعود (ت 653/33) عن النظائر،⁴ وأن رسول الله كان يقرأ بسورتي السجدة (32) والإنسان في صلاة الفجر يوم الجمعة.⁵

والسورة تبدأ بذكر الإنسان، وكونه حيناً من الدهر "لم يكن شيئاً مذكوراً"، ثم كيف خلقه الله تعالى وأعطاه السمع والبصر وهداه السبيل، ثم إن الإنسان "إما شاكراً وإما كفوراً"، يتبع ذلك ذكر ما أعده الله للكافرين يوم القيامة من سلاسل وأغلال، ثم ينتقل النص للحديث عن الأبرار، وما كانوا يفعلون في الدنيا من الوفاء بالنذر وإطعام الطعام الخ، وأنهم فعلوا ذلك خوفاً من اليوم العيوس ولوجه الله تعالى، ثم يذكر جزاءهم وما أعد لهم من نعيم على أفعالهم الصالحة، وهذا النعيم يشمل الشراب والطعام والظلال والأرائك واللباس والولدان، ويبين أن سعيهم كان مشكوراً. ثم يتحول النص إلى مخاطبة الرسول وتأكيد نزول القرآن عليه، فتأمر الآيات الرسول بالصبر وعدم طاعة الآثمين الكافرين، وتأمرة بذكر الله بكرة وأصيلاً، وتحته على الصلاة والسجود، ثم تذكر حب الكافرين للعاجلة ونسيانهم لليوم الآخر، ثم تُعيد السورة ذكر الخلق وإحكامه و قدرة الله على تبديلهم، وتجعل كل ذلك تذكرة لمن أراد و شاء الهداية والسير إلى الله، متبوعاً بارجاع المشيئة لله تعالى العليم الحكيم، وكونه يُدخل من يشاء في رحمته، وأعد للظالمين عذاباً أليماً.

وقد اختلف العلماء في تحديد زمن نزول سورة الإنسان، كما اختلف المفسرون حول من هو "الإنسان" المقصود في السورة: هل هو آدم أم جنس الإنسان بالعموم؟ وهذه المقالة تهدف إلى دراسة هذين السؤالين عبر الطرق والمناهج الأدبية، ولفعل ذلك ستعرض قراناً محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1973) وأمين أحسن إصلاحي (ت 1997) للسورة، وكيف أكدا أن السورة كلها مكية رغم استخدامهما لمناهج موضوعية مختلفة. بالإضافة إلى ذلك ستعني هذه المقالة بتطبيق نظرية التناظر ونظرية المزاجية؛ للمزيد من التحقق من خلال تطبيقهما على السورة المختارة، وعلى السور السابقة لها في ترتيب المصحف، وهي بالترتيب: المزمّل (73)، والمدثر (74)، والقيامة (75). وستخلص هذه الدراسة إلى تأكيد كون السورة نظماً وموضوعاً تنتمي إلى القرآن المكي.

زمن نزول سورة الإنسان في التراث الإسلامي

الاختلاف في التفسير والتراث حول تحديد زمن نزول سورة الإنسان يمكن تلخيصه كما يلي:

4. جاء في سنن أبي داود عن علقمة والأسود: "أتى ابن مسعود رجل فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة. فقال أهدأ كهذا الشعر ونثراً ككثر الدقل لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة الرُحْمَنِ والنَّجْمِ في ركعةٍ واقتربت والحاقة في ركعةٍ والطور والذاريات في ركعةٍ وإذا وقعت ون في ركعةٍ وسأل سائل والنازعات في ركعةٍ وويل للمطفيين وعين في ركعةٍ والمدثر والمزمل في ركعةٍ وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعةٍ وعم يتساءلون والمرسلات في ركعةٍ والدخان وإذا الشمس كورت في ركعةٍ" قال أبو داود: هذا تأليف ابن مسعود [أي تأليف مصحفه] (انظر: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، حديث رقم 1396). وللحديث شاهد في الصحيحين (انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، حديث رقم 4710؛ أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم 822).

5. أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان" (انظر: البخاري، الصحيح، حديث رقم 891)، وأخرجه مسلم عن ابن عباس (انظر: مسلم، الصحيح، حديث رقم 879).

“human being” (*insān*) mentioned at the beginning: is this a reference to Adam or to the human species? The contention that the *sūrah* is Medinan is supported by traditions rather than by the text of the *sūrah* itself or its chief topics. Conversely, Ibn ‘Āshūr and Amīn Iṣlāḥī have presented thematic readings of the *sūrah* and maintained that it is Meccan, on topical and stylistic grounds. This article commences by surveying what the Islamic tradition has to say about the revelation of the *sūrah* and about the identity of the “human being” concerned. This is followed by the readings of Ibn ‘Āshūr and Amīn Iṣlāḥī. The article undertakes an analysis of the *sūrah*’s composition according to the theory of ring structure and also the theory of *sūrah* pairing. The article arrives at the following conclusions: (1) The *sūrah* is Meccan and constitutes a coherent unity composed of three sections. It displays concentric symmetry in the inverted form ABA’, and its principal topics are summoning unbelieving humans to be thankful to God prior to the day of judgement and the fate awaiting them should they be ungrateful for God’s favors. The *sūrah* also calls attention to the this-worldly actions of those who are righteous and grateful and sets out their rewards in the world to come. (2) From a rhetorical and thematic perspective, the *sūrah* is linked to the Meccan Sūrat al-Qiyāmah (Q 75), insofar as the latter references the same “human being;” the Qur’ān, and the reality of creation and the resurrection. This pairing confirms that Sūrat al-Insān is Meccan in its entirety. (3) The *sūrah* under discussion has an intimate rhetorical and topical link with Sūrat al-Muzzammil (Q 73) and Sūrat al-Muddaththir (Q 74) and is connected to the topics treated in those *sūrahs* that precede it diachronically. The *sūrah* provides a glimpse at the stance the Messenger vis-à-vis revelation and the opposition he faced from his addressees. (4) Topics such as prayer and feeding the needy point to the fact that the Qur’ān is preoccupied with the issue of virtuous action and righteousness from an early point in time. In this early period, the qur’ānic message was called a “reminder” (*tadhkirah*).

مقدمة

سورة الإنسان تحتوي على إحدى وثلاثين آية، وترتيبها السادس والسبعون (76) في المصحف العثماني. وتسمى سورة هل أتى، وسورة الدهر، والأمشاج، لمجيء هذه الألفاظ في بداية السورة، ولم يُذكر هذا اللفظ الأخير في موقع آخر من القرآن.¹ وقيل إنها تسمى سورة الأبرار لأنهم ذُكروا في السورة.² والسورة اختصت بذكر مفردات لم ترد في موضع آخر في القرآن، مثل “سلسبيل”، وصف اليوم الآخر بالـ “قمطير” (الشديد الصعب)، “أساور من فضة”، شراب الكافور والشراب الممزوج بالزنجبيل، “أنية”، و“قوارير”.³ ولم يرد في فضل هذه السورة شيء سوى حديث عبد الله

1. محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير* (30 جزء؛ تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997)، ج 29، ص 369.
 2. نفسه.
 3. محمد حبيب مختار المبارك، “التناسق الموضوعي في سورة القيامة والإنسان والمرسلات” (ماجستير، جامعة أم القرى، 1433-1434 هـ)، 139-140.

سورة الإنسان مكية أم مدنية؟ قراءة موضوعية بلاغية لسورة الإنسان بالتوازي مع سورة القيامة

ندين السليمي

ملخص

سورة الإنسان السادسة والسبعون في ترتيب المصحف، واختلف في كونها مكية أم مدنية، أو بعضها مكي والآخر مدني، كما اختلف المفسرون حول من هو "الإنسان" المقصود: هل هو آدم أم جنس الإنسان؟ والقول بمدنية السورة مدعوم بالروايات لا بالنص نفسه، أو الموضوعات الرئيسية، في حين أنّ ابن عاشور وأمين إصلاحي قدما قرأنتين موضوعيتين للسورة، وأكدا مكيتها لاعتبارات موضوعية وأسلوبية. هذه المقالة تعرض أولاً ما جاء في التراث الإسلامي حول نزول السورة، و"الإنسان" المعنى، مبنوياً بقرآنتي ابن عاشور وإصلاحي. وستعرض المقالة تحليل تركيب السورة وفق نظرية التناظر، ثم نظرية المزاوجة. وتخلص المقالة إلى النقاط التالية: 1. السورة مكية، تُشكّل وحدة منسجمة من ثلاثة مقاطع، ومتناظرة بشكل معكوس (أ/ب/أ)، وموضوعها الرئيسي دعوة الإنسان المشرك أو الكافر إلى الشكر قبل يوم القيامة، ومصيره حين يكفر بالنعمة، وتذكر أفعال الأبرار في الدنيا الذين شكروا، وتبين جزاءهم في الآخرة؛ 2. السورة مرتبطة بلاغياً وموضوعياً بسورة القيامة المكية من خلال ذكر الإنسان نفسه، والقرآن، وحقيقة الخلق والبعث، والمزاوجة بين السورتين تؤكد نزول سورة الإنسان كلها في مكة؛ 3. السورة المختارة وطيدة الصلة بلاغياً وموضوعياً بسورتي المزمل والمدثر، وترتبط بموضوعات السور السابقة نزولاً، وتُعطي لمحة عن حال الرسول مع الوحي، وقومه وإعراضهم؛ 4. موضوعات كالصلاة والإطعام تُشير إلى أن القرآن تناول موضوع العمل الصالح والبر منذ وقت مبكر، وسمى رسالته في تلك الفترة "تذكرة".

SŪRAT AL-INSĀN, MECCAN OR MEDINAN? A THEMATIC AND RHETORICAL READING OF SŪRAT AL-INSĀN (Q 76) IN PARALLEL WITH SŪRAT AL-QIYĀMAH (Q 75)

NADEEN ALSULAIMI
King Abdulaziz University (Saudia Arabia)

Abstract

There is disagreement as to whether Sūrat al-Insān (Q 76) is partly or entirely Meccan or Medinan. There is also disagreement about the identity of the